القسم الأول

بحوث ودراسات

نحو رؤية جديدة للبحث الأثري في الجزائر

(مشروع بحث "المدن والعمران قبل الرومانية في نوميديا الشمالية" نموذجا)

محمد البشير شنيتي

دكتور دولة في تاريخ وآثار المغرب القديم

أستاذ بجامعة الجزائر (معهد الآثار)

- مقدمة : نظرة تقييمية
ملامح حصيلة البحوث الأثرية في عهد الاحتلال المنطلقات العلمية و الكوامن الإيديولوجية.

I - إشكالية المنهج الإحصائي في الدراسات الأثرية وعيوبه.

II - منظورنا في مشروع البحث وطريقة العمل فيه :

أولا : هيكلة موضوع البحث.

ثانيا : التحري البيبليوغرافي مع أمثلة.

ثالثا : عرض تاريخي مجمل لأحد المواقع (كلاما : فالمة).

مقدمة : نظرة تقييمية

ملامح حصيلة البحوث الأثرية في عهد الاحتلال (المنطلقات العلمية و الكوامن الإيديولوجية).

بدأ اهتمام الفرنسيين بالتراث الأثري الجزائري عداة احتلالهم للجزائر. وكان الرعيل الأول من المهتمين بهذا الميدان متأثرا بحركة الكشوفات التي انطلقت من أوروبا مواكبة لحركة الاستعمار و الهيمنة الأوروبية على أقاليم حضارية يقع أغلبها جنوب وشرق حوض المتوسط. وكانت تلك الحركة تهدف إلى التعرف على ماضي الشعوب وثقافاتها وخصوصياتها لكونها مختلفة عن الأمم الأوروبية وواقعة تحت سيطرتها أو نفوذها من جهة، ولكون أوطانها تحتفظ بمعالم بارزة عن ماضيها الحافل بالأمجاد الحضارية من جهة أخرى. وكانت شواهد ذلك ماثلة إلى العيان في شكل معالم شامخة وصروح وأوابد وكنوز أثرية وتحف نادرة.

وقد شهدت أوروبا تسابقا محموما للكشف عن مكامن البلاد الشرقية ابتداء من أوائل القرن التاسع عشر. وكانت الجامعات الأوروبية تخرج أجيالاً من العلماء المسلحين بالمنهج العلمي الحديث القائم على سيادة العقل والتجربة. ولما كانت الجزائر من أوائل البلدان التي وقعت بيد الاستعمار الفرنسي فقد تعرضت لامتداد تلك الحركة الإكتشافية النشيطة، حيث كان العلماء الفرنسيون ممثلين لها بشكل احتكاري رغم ضآلة زادهم العلمي مقارنة بالألمان والإنجليز مثلا. وقد أخذت إدارة الاحتلال على عاتقها مهمة الكشف عن الآثار عن طريق الجرد المنتظم، وذلك باستعمال ضباط الجيش المختصين في المسح الطبوغرافي، فكانوا يقومون بتدوين ما تقع عليه أعينهم من بقايا أثرية أثناء قيامهم بأعمال المسح التي شملت التراب الجزائري المحتل، وقد شكلت تلك التسجيلات رصيدا وثائقيا مرجعيا بالنسبة لرجال الآثار والتاريخ الذين أتوا فيما بعد .

وقد اعتمد أولئك المساحون على طرق منهجية حديثة لم يسبق استعمالها من قبل، ومنها الوصف الموضعي الدقيق والرفع الأثري و الرسم التشخيصي والمعماري ثم التصوير الشمسي للمعالم والشواهد، وما إلى ذلك من التقنيات التي تعد من ضوابط المنهجية الحديثة في هذا السبيل.

ومن أشهر الأعمال التي نفذها الفرنسيون في هذا المجال ما أسموه بحملات الكشف العلمي للجزائر Explorations Scientifiques de l'Algérie التي أخذوا في تنفيذها أواسط القرن التاسع عشر عندما كانوا لا يزالون بصدد إتمام احتلالهم للتراب الجزائري. وكانت ثمرة ذلك العمل المنظم أن جمعوا رصيدا هاما من المعلومات ذات القيمة التوثيقية التي غدت مصدراً لا محيد عنه للباحثين في معالم فروع الآثار والتراث الثقافي الجزائري. وقد غصت المتاحف العامة وحدائق البلديات وبيوت الضباط والموظفين وجماع المقتنيات بالتحف والكنوز الأثرية الثمينة بدءاً من مجموعات النقود الذهبية والفضة إلى الآنيات الخزفية العالية الجودة إلى القطع الزخرفية والتماثيل الرائعة الجمال. كان ذلك حصادا ثمينا لتلك الحملات وما أثارته لدى المهتمين من فضول واندفاع للاقتناء.

اتسمت حركة الكشف عن التراث الأثري الجزائري بالسمة الاستعمارية، فكانت ترمي لخدمة الاحتلال وتكريس أبعاد السياسة الفرنسية الكامنة وراءه. وقد تجلى ذلك في المنهج الذي أتبعه القائمون بتلك الأعمال في أبحاثهم واكتشافاتهم ومؤلفاتهم، وهو منهج ينمّ عن منطلقات فكرية وقناعات إيديولوجية سائدة، كان هدفها ترسيخ الاحتلال الفرنسي بشمال إفريقيا باعتباره، في نظرهم، حلقة تاريخية حتمية. ومن ثم اصطبغت حصيلة المعرفة التاريخية المتأتية من خلال ذلك الجهد المبذول بصبغة مميزة من حيث انتقاء الموضوعات والعناية بجوانب التوافق فيها مع السياق العام لسياسة الاحتلال وأهدافها الحضارية البعيدة، مثل العناية بأساليب التحكم في الأهالي أثناء عهود الاحتلال الكبرى كالعهد الروماني، وإبراز الشواهد البارزة لسيادة المجتمع السيد ومظاهر الرفاه والازدهار آنذاك. وهي أمور كان لها صداها في أوساط الكولون ورجال السياسة الفرنسيين في الجزائر. وهكذا انصبت عناية المهتمين بالآثار الجزائرية على معالم المدن الرومانية وهياكل المجتمع الحضري فيها. وكذا منشآت التحكم العسكري وما الى ذلك من الهياكل ذات الوظائف الاستعمارية. واتجهت العناية الى إزالة الإنقاض والردوم وحتى المباني الجاثية فوق أرضيات المدن والمعالم الرومانية، وإعادة تركيب وتخطيط هياكل تلك المعالم، وكذا جمع

الوثائق المتعلقة بمجتمعاتها من نقوش كتابية وتحف وأدوات أثرية متنوعة مما يساعد على إعادة تصور أنماط الحياة فيها. وكان المنظور المنهجي منصبا على الأساليب المختلفة التي تمكن من إعادة تركيب ماضي تلك الحواضر والمنشآت تركيبا ذهنيا يتطابق وتطلعات تلك السياسية. وعلى سبيل المثال لا الحصر يمكننا استعراض أحد المناهج المعتمدة في هذا السبيل قصد تحليل مضامينه الإيديولوجية وإبراز عيوبه العلمية. إنه المنهج الإحصائي الذي لا يزال متبعا في دراسة مجتمعات المدن الرومانية قصد تحديد هويتها الحضارية وتقرير مدى انتشار ظاهرة ما يسمى بالرومنة في أوساط السكان الأهالي الذين عاشوا في تلك المدن أو بجوارها.

I - إشكالية المنهج الإحصائي في الدراسات الأثرية :

يعتمد هذا المنهج في تقدير نسب المنتفعين بالمواطنة الرومانية من خلال دراسة الأسماء Onomastique المستخرجة من نقوش المقابر (شواهد القبور) خاصة، وكذا السجلات المتبقية في قوائم البلديات والنقائش التذكارية وما إليها. ويقتضي المنهج الإحصائي استنباط الأسماء الثلاثة (اسم + كنية + لقب) الرومانية وتصنيفها ضمن أسماء الأسر الإمبراطورية والسيناتورية وغيرها من التي عرفت بمرجعيتها في التلقب والموالاة للرومان. أي الانتماء الى الفئة الرومانية المتمتعة بحقوق المواطن الكاملة (Jus Romanus) . ويقتضي هذا المنظور المنهجي استبعاد الأسماء التي لا تنطبق عليها القوائم المرجعية المذكورة وبالتالي اعتبار أصحابها أجانب (أي غير مُرومنين)، أو أن وضعيتهم الاجتماعية غير واضحة أو أنهم كانوا في مرحلة انتقالية نحو الرومنة. الى غير ذلك من الاحتمالات التي يفضي إليها هذا المنهج العددي الصارم الذي هو أقرب الى الاستبيانات السوسيولوجية الحديثة منه الى مناهج البحث الاثري.

ومن عيوب هذا المنهج مايلي :

1- اعتماده على عينات محدودة هي شواهد القبور المستخرجة من جبانات المدن بالإضافة الى النقائش التذكارية وهي قليلة بطبيعة الحال. وهذه الوثائق تتعلق في

غالب الاحيان بطبقة اجتماعية متميزة في المدينة لا تمثل سوى نسبة عديدة ضئيلة بالقياس مع أعداد السكان من الطبقة الدنيا الذين عاشوا خارج هذا الإطار.

2- إنه يحتمل الخطأ في تصنيف فيئات السكان نظرا لإندثار أجزاء من النقائش أو غموضها أو الخطأ في قراءة الأسماء.

3- إنه يهمل عالم الريف ذي الكثافة السكانية العالية، وقد كان قليل التأثر بإطار الرومنة وليس من تقاليده تدوين (كتابة) شواهد موتاه على الطريقة الرومانية وهذا ما نلاحظه في الجبانات الميغاليتية بمختلف أشكالها التي كثيرا ما تعاصر جبانات أهل المدن (الحضر) ولا تتأثر بتقاليدها.

4- إنه منهج صالح لتتبع السكان الأجانب لإحساسهم بالاختلاف وحرصهم على التمسك بتقاليدهم الجنائزية المعتمدة على عقيدة عبادة الأسلاف كما هو الشأن عند الأقوام الإيطالية واليونانية التي كانت تحرص على الاحتفاظ بالموقد المقدس واستحضار أرواح الأسلاف من خلال مقابرهم والتمسك بالأرض التي دفنوا فيها كي تتواصل الذرية ويتعاظم الملك، إنها قيم غريبة عن المجتمعات الليبية وبالتالي فمراسيمها لم تترسخ لديهم. وهو ما لم يأخذه هذا المنهج في الاعتبار.

أمثلة على عيوب المنهج الإحصائي :

جاء في دراسة حول مجتمع ستيفيس (سطيف) في القرنيين الثاني والثالث :

بلغ عدد الكنيات في سطيف مايلي :

532 كنية. منها 10 كنيات تدل على أصل محلي (ليبي) ومنها 15 كنية ليبية واضحة. ومنها 6 محرفة. ومنها 144 كنية مترجمة الى اللاتينية.

وبذلك فإجمالي الكنيات الاجنبية (غير الرومانية) يشكل نسبة 33.89 % من مجموع الأسماء المدروسة. ويلاحظ صاحب الدراسة أن هذه النسبة هامة في سطيف مقارنة بنسبة 20 % المستخرجة من كيرتا Cirta (قسنطينة) الخ ....

أوجه العيب :

في خلال 200 سنة عاش في سطيف 532 شخص (عدد الأسماء المحصاة من خلال شواهد القبور) ؟! فكم كان عدد سكان سطيف في وقت ما ؟ وهل يطابق هذا الإحصاء واقع آخر ؟ أي هل يمكن تقدير سكان سطيف الأحياء في سنة ما من السنوات التي شملتها فترة الدراسة ؟ حتى يمكن أن نعرف نسبة الوفيات الى نسبة الولادات أو التزايد الديمغرافي وطبيعة ذلك التزايد بالتوالد أو بالهجرة ؟ ...

ومن جهة أخرى فإذا وزعنا (قسمنا) هذا العدد (532) على ثلاثة أجيال وهي المدة الزمنية المدروسة (القرنان 2 و 3) سيكون معدل الافراد في كل جيل حوالي 177 ذكرا وأنثى. أي معدل حوالي 82 زوجا (أسرة) عاشوا في سطيف. وهل الواقع الأثري (الاحياء السكنية، المنشآت المعتمدة في تقدير السكان) يتناسب وهذه النتائج التعسفية ؟!.

مثال أخر :

إعتمد كثير من مشاهير مؤرخي شمال إفريقيا الفرنسيين على سعة منشآت التسلية(مسارح، مدرجات ...) في تقدير سكان المدن الرومانية. استنبطوا من ذلك علاقة نسبية عددية بين سعة هذه الهياكل وعدد سكان المدن الموجودة فيها ، كما قدروا نسبة التأثر بالحضارة الرومانية والاندماج فيها (الرومنة) من خلال نسبة اتساع تلك الهياكل أو إنتشارها في المدن الرومانية.

ووجه العيب هنا قريب الشبه بما ذكرنا آنفا في عينة سطيف. ذلك أن منشآت التسلية لم يعثر على كثير منها في خرائب مدن كانت شهيرة آنذاك. كما أن هذه المدن عرفت تذبذبا في الكثافة السكانية تبعا للظروف الأمنية التي قلما عرفت إستقراراً وطمأنينة، بالإضافة إلى أن المعنيين بمنشآت التسلية في مجتمع المدن كانت الطبقة النخبوية (طبقة المتناوبين على السلطة وأثرياء المدن). وهذه الطبقة أختلف عددها ومستواها من الثراء بين حاضرة (مدنية) وأخرى وتبعا للفترات التاريخية.

وهل مسرح مدينة سطيف أو الجزائر في العهد الفرنسي يعبر عن نسبة الحضر أو المفرنسين في هذه المدينة أو تلك ، ومن كان معنيا بهذا النوع من المؤسسات الثقافية في المدن الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي ؟ فهل يصح بعد هذا أن نبقى متمسكين بهذا المنظور المنهجي القائم على انتقاء العينات والشواهد الأثرية واختيار زوايا النظر؟.

II- منظورنا في مشروع البحث وطريقة العمل فيه :

لتفادي الوقوع في محاذير منهجية وتجنبا للمزالق الفكرية التي اتسمت بها كثير من الأعمال المعتمدة على هذا المنظور الذي يقتضيه المنهج الاحصائي ارتأينا أنه من الضروري إعتماد منهجية أخرى نظن أنها أكثر حيادية وأقرب الى الصرامة العلمية التي يقتضيها البحث الأثري وأكثر استجابة للتقنيات الحديثة. إنها منهجية تعتمد على إستقراء الشواهد والوثائق الأثرية المتنوعة واستنطاق القرائن المختلفة قبل الاستدلال الذي يقود الى تصور ذهني يعيد تركيب البنية المادية والاجتماعية للمدن والأرياف التابعة لها، وهذا المنظور المنهجي يقتضي توسيع مجال الرؤية كي تشمل إقليما متنوعا جغرافيا ولكنه متكامل تاريخيا. ومن ثم أخذنا منطقة شمال نوميديا الواقعة ضمن التراب الجزائري إنطلاقا من شمالي الاوراس كعينة واسعة للدراسة، وذلك بالتركيز على أقاليم مدن إشتهرت بحيويتها التاريخية في العهود القديمة. فجاء مشروع البحث تحت عنوان " المدن والعمران الريفي بنوميديا الشمالية " دون أن نحدد لأنفسنا غايات معينة متوخاة من وراء هذا المشروع كتثمين أفعال وسلوكات أشخاص أو مؤسسات أو إمتداح عهد والانتقاص من قيمة الآخر.

- طريقة العمل :

اقتضت طبيعة الموضوع إتباع الخطوات التالية :

أ- التحري الببليوغرافي .

ب- المعاينة الميدانية ودراسة الشواهد المعلمية والمتحفية.

ج- إجراء حفريات (أسبار - مجسات) في مرحلة أولى، ثم حفريات منتظمة في مواقع مختارة.

وبما أن البحث لايزال متواصلا وبصورة متعثرة لظروف موضوعية كإنعدام الأمن بالنواطق المشمولة بالبحث وشحّ الامكانيات اللازمة الموصوفة في مشروع البحث، فإننا نورد هنا نموذجا للمرحلة الاولى من الإنجاز.

أولا هيكلة موضوع البحث :

تبين لنا من خلال الزيارات الميدانية ورصد الوثائق وتحرّي المصادر المتعلقة بالاقليم الأثري المحدد كإطار لمشروع البحث أن النسيج العمراني القديم بهذا الإقليم كثيف جدا بحيث يتعذر إيفاءه حقه بحثا، ومن ثم كان لازما علينا اللجوء الى الانتقاء، أي الاقتصار على مجموعة من المعالم العمرانية القديمة التي نتوقع أنها تحوز أهمية تاريخية أكثر من غيرها وتستجيب لاشكالية البحث ومراميه.

وهكذا وقع إختيارنا على المعالم التالية :

- هيبون Hippone (عنابة) ولاية عنابة.
- كلاما Calama (قالمة) " "
- تبيليس Thibilis (عنونة) " "
- عين النشمة " "
- قلعة بوعطفان (عين العربي) " "
- عين مخلوف " "
- زطارا Zattara (كاف بزيون) " "
- تغاست Thagate (سوق أهراس) ولاية سوق أهراس.
- تيبازا Tipasa (تيفاش) ولاية سوق أهراس.
- مادور Madauros (مداوروش) " " "
- تبورسيكو النوميدية Thubursico Numidarum(خميسة) "
- قاديوفالا Gadiaufala (قصر الصبيحي) ولاية أم البواقي.

تتفاوت هذه المواقع الاثرية من حيث الاهمية التاريخية وكذا من حيث وضع معالمها وثراء محتوياتها، وكذلك من حيث العناية التي حظيت بها من طرف المؤرخين القدماء والمهتمين بالآثار في العصر الحديث، الأمر الذي جعل معارفنا حول هذه المعالم متفاوتة كمّا ونوعا.

هذا وقد إقتصرنا على المعالم الواقعة شمالي الهضاب العليا الشرقية المكملة لمرتفعات الأوراس. أي أننا ركزنا على المنطقة التي تكّون أعالي حوضي مجردة والسيبوس، وذلك إفتراضا منا بكون هذه المنطقة صلتها بالمراكز الحضارية الساحلية (قرطاجة - هيبون) أكثر متانة من صلتها ببلاد الأوراس، فضلا عن كونها منطقة جبلية منيعة ، وذات موارد إقتصادية كبيرة : تربة خصبة، مياه غزيرة، ثروة حيوانية ونباتية وفيرة، مما جعلها تكّون ظهيرا إقتصاديا أساسيا للمدن الساحلية النوميدية بهذه المنطقة. ومن ثم نعتقد أن إختيارنا موضوعي ومنهجي أملته ضرورة تقنية.

ثانيا التحري البليوغرافي :

أسسنا التحري البليوغرافي منهجيا على مايلي :

1- تعريف موجز بالمدينة العلمية، يشتمل على نبذة مختصرة جدا عن تاريخها منذ نشأتها الى نهاية فترة البحث (العصور القديمة)، القصد من هذه النبذة إبراز أهمية المعلم وعلاقته بمشروع البحث.

2- رصد النصوص التاريخية القديمة المحتوية على معطيات إخبارية تخص المعلم المعني، وذلك بغرض المسح البليوغرافي الشامل تيسيرا للعودة إليها أثناء البحث.

3- جرد بليوغرافي لتقارير الرحالة والمستكشفين الاوروبيين في العصور الحديثة المتعلقة بالمعلم نفسه وذلك قصد تيسير العودة الى تلك المستندات في الأوان.

4- رصد النقوش الكتابية الأثرية المختلفة (بونية، ليبية، لاتينية ...) بغرض الارشاد الى الجوانب المعرفية فيها تسهيلا للإستفادة منها في الوقت المناسب.

أمثلة :

حول هيبون Hippone (عنابة):

تقع هيبون على بعد حوالي كيلومترين إثنين (02) جنوبي المدينة الحالية (عنابة) ، بين وادي السيبوس و واد جمعة قبل تحويلهما . يرجع تأسيسها الى العهد الفنيقي، لكن تاريخ إنشائها مجهول. عرفت إزدهارا في العهد النوميدي وتطورت في العهد الروماني وتواصل عمرانها في جميع الأحقاب التاريخية وحرّف اسمها في العهد الاسلامي فدعيت " بونة " ثم تغير الى عنابة في عصور متأخرة.

إهتم بآثار هيبون كتاب وباحثون كثيرون منهم الرحالة العرب كابن حوقل والبكري والادريسي ثم الاوروبيون الذين اهتموا بخرائبها وأخبارها عبر العصور. كما وردت بعض المعلومات التاريخية عن هيبون في المصادر القديمة الكلاسيكية (يونانية ، لاتينية).

1- النصوص القديمة :

Itiniraire d'Intonin, édition parthy - pinder. P.8.

Table de pentinger même édition, P .18 - 19.

Pline l'ancien, V , 22.

Pomponius Méla, I , 33.

Paule Orose , I .2.92.

Ptolémee, IV, 3,2 .

Julius honorius, géographie, éd Rése, P. 47.

S.T Augustin, lettres, Passim ....

Procope, I.3

Solin, XX VII, 7.

- إبن حوقل - البكري - الادريسي - حسن الوزان (ليون الافريقي).

2- تقارير الرحالة والمستكشفين الأوروبيين :

Constantine Paris, 1838.

Shaw, Voyages, I.

Ravoisie, exploration scientifique de l'Algérie. Baux Arts.

Tissot, Géographie, ... II.

Muller ? Numismatique de l'ancienne Afrique, III

Delamare, exploration scientifique, Archéologie.

Grellois, Mémoire de l'académie de Melz.

Judas, Nouvelles études sur une série d'inscriptions numidico-puniques.

Papier, lettres sur Hippone (Bonne , 887).

S. Gsell . A.A.A , F.9,59.

S.Gsell . M.A.A .

S. Gsell . I.L.A, I, 1.

هذا فضلا عن مجموعة من البحوث والدراسات الخاصة المنشورة في مجلة L'académie d'Hippone المؤسسة لهذا الغرض. بالاضافة الى تقارير الحفريات التي جرت في نقاط بارزة من موقع هيبون. وكذا ما نشر في المجلة الافريقية Revue africaine ونشرية قسنطينة (R.S.A.C.) وغيرهما.

3- النقوش البونية والليبية . راجع خاصة :

Judas, Nouvelles études. 0.P. cit.

Chabot. Recueil des inscriptions Libyques. (= R.I.L)

4- اللاتينية :

S. Gsell .Inscriptions Latins de

L'Algérie (= I.L.A). I.

من رقم : 1 الى 88.

وهي نقوش تتضمن معطيات توثيقية متنوعة، منها ما يتعلق بالحياة اليومية والدينية والإدارية وغيرها.

- حول تقاست Thagaste [سوق أهراس] :

تقاست خرائب مدينة قديمة بالقرب من مدينة سوق أهراس الحالية. عرفت شهرة في العهد الروماني خاصة. وقد كان لموقعها المتميز دور في ذلك، حيث تقع بأعالي وادي مجردة في إقليم نوميدي هام.

اندثرت المدينة القديمة أواخر العصور القديمة وإنقطعت أخبارها بعد ذلك. تمّ الكشف عن أطلال تغاست في العصور الحديثة على أيدي الرحالة والباحثين الأوربيين.

1- النصوص القديمة :

-Itinéraire d'Intonin.OP. Cit. P20.

- St - Augustin, lettres, 124,6.

- Conférence de Carthage. 411, I. 136.

وهناك ذكر متفرق لأخبار تغاست في كتب الأساقفة الأفارقة من الذين ساهموا في الجدل الديني الذي كان قائما بين الطائفتين الدوناتية والكاثوليكية.

2- تقارير الرحالة والمستكشفين الأوربيين :

Delamare . Rev. Archéologique. XII, 1855.

Berbrugger. R. Afr. 1856 - 57.

Raquette. R.S.A.C, 1904.

Rebourd. R.S.A.C. , 1875.

S. Gsell. A.A.A, F. 8, 340.

3- النقوش اللاتينية :

S. Gsell. I.L.A, I. 1

من رقم : 866 الى 927.

وتتضمن معطيات متنوعة حول الجوانب الدينية والادارية والاقتصادية والجنائزية، وكذا الحياة اليومية.

- حول زطارا Zattara [كاف بزيون] . [ولاية قالمة] :

يوجد موقع كاف بزيون على ربوة مشرفة بإنحدار شديد من الجهة الغربية على واد عميق يدعى واد الحمام (حمام الرومية)، بينما يمثل إنحدار هذه الربوية من الجهة المقابلة ميلا بسيطا مما جعلها تشكل ظهرا ملائما لقيام مدينة حصينة في إقليم جبلي وعر تشقه طريق رئيسية في إتجاهين متعاكسين (كلاما) من جهة ومراكز عمرانية بأعالي السيبوس من جهة أخرى.

الظاهر أن هذا الموقع الحصين قد خرب بعد العهد البيزنطي ولم يعمر بعد ذلك. لكن الوثائق تدل على أنه كان عامرا منذ العهدين البوني والنوميدي.

1- النصوص القديمة :

لا تتوفر حول زطارا وثائق ونصوص قديمة كثيرة بإستثناء ذكره في قائمة أساقفة العهد الوندالي عام 484م:

- Notice 484, Numide N° = 50

2- تقارير الرحالة والمستكشفين الأوروبيين :

- Vigneral, R. Afr, 1866.

- Bernelle R.S.A.C , 1892.

- Mercier. B.C.T.H , 1888.

- Moncelli, Africa christiana, I

- Toulotte, Géographie de l'Afrique chrétienne Numidie
- S. Gsell. R.S.A.C. ; 1898.
- S. Gsell. M.A.A ; II.
- S. Gsell. A.A.A. , F.18 , 233.

3- النقوش اللاتينية :

S. Gsell. I.L.A. , I. 1.

من رقم : 553 الى 559.

- حول تيبازا Tipasa [تيفاش]:

تقع الى الشمال الغربي من تيغاست. وهي من أقدم المدن التي إحتفظت بإسمها القديم الذي قد يكون أصله فنيقيا. كانت مركزا عمرانيا هاما قبل الاحتلال الروماني. وأصبحت بلدة عام 173م. كان بها أساقفة في العهد الوندالي وكذلك في العهد البيزنطي وصل بعضهم الى أسقفية المقاطعة النوميدية. أقام بها البيزنطيون قلعة هامة. أثارت إهتمام الرحالة العرب كإبن حوقل والبكري فذكروا بعض أخبارها.

آثارها فسيحة ومعالمها كثيرة منها قلعة بيزنطية، حمامات ومقابر... عثر بها على نقوش بونية وأخرى ليبية وكثير من النقوش اللاتينية.

1- النصوص القديمة :

- Itiniraire d'Intonin. OP. Cit P 18
- Table de peutinger.
- Géographe de Ravenne

- إبن حوقل.
- البكري.

- الادريسي.

2- تقارير الرحالة والمستكشفين :

- Chabassier. R.S.AC. , 1866.
- Masquray. B.C. Af. , I.1882 - 83.
- Diehle. Nouvelles archives des missions IV. 1893
- Reboud. R.S.A.c. , 1899.
- Muller, Numismatiques. III.
- S. Gsell. M.A.A. , I , II.
- S. Gsell. A.A.A. F. 18 , 391.

3- النقوش :

1- الليبية.

- Chabot. R.I.L.

2- اللاتينية.

- S. Gsell. I.L.A. , I.1.

من رقم : 1883 الى 2030.

- حول تيورسيكو النوميدية Thubursicu Numidarum [خميسة] :

تقع جنوب غرب مدينة سوق أهراس بمسافة 32 كلم، وشمال شرق مدينة سدراته بمسافة 14 كلم. خرائبها منتشرة بالقرب من جبل يدعى " راس العاليا " الواقع على بعد 6 كلم من قرية خميسة الحديثة. ومنه تنبع مياه غزيرة تأخذ اتجاهات مختلفة لتكون الروافد العليا لوادي مجردة والسيبوس.

من أقدم الأوروبيين الذين اكتشفوا آثار هذه القصبة النوميدية طبيبان ألمانيان عام 1732م. أما الفرنسيون فقد نظموا أول حلمة عسكرية استكشافية نحو خميسة عام 1843م. قاموا خلالها باستنساخ بعض الكتابات اللاتينية والرسوم.

التي نشرها دولامار Delamare عام 1855 م . وتواصل البحث والرفع الأثري لخرائب المدينة بعد ذلك. وصدرت مجموعة النقوش اللاتينية لخميسة عام 1875 م. نقب ماسكوري على الساحة العامة Forum عام 1877م. ثم تولت مصلحة الآثار إبتداء من عام 1900م. مهمة الكشف الأثري عن المدينة تحت قيادة M. Joly وأصدر قزيل نتائج الحفريات عام 1924م.

تاريخ هذه المدينة العريقة غير مدون من قبل الكتاب الكلاسيكيين ، حيث لم يرد ذكرها على لسان بلين القديم. لكن تاكيتوس Tacite ذكرها بمناسبة حروب تكفارياس.

وقد نسبت تبورسيكو للنوميديين لكنها كانت عاصمة لقبيلة نوميدية لا لجميع النوميديين فيما يظهر.

1- النصوص القديمة :

- Ticite . Annales . IV
- St. Augustin , lettres .44 , 14.

2- تقارير الباحثين :

- Delamare .R. Archéologique. 1855.
- Chabassiere .R.S.A.C. , 1866.
- Masquray .R.S.A.C. , 1887.
- Diehl Nouvelles archives des missions. IV.
- S. Gsell .R.S.A.C. , 1898.
- Robert . R.S.A.C. , 1899
- S. Gsell. M.A.A. , I.
- M. Joly . R.S.A.C. , 1905.
- S. Gsell , A.A.A , F.18, 297.

- S. Gsell Khamissa. 1914

3- النقوش اللاتينة :

- S. Gsell I.L.A. , I. I.

من رقم 1220 الى 1982.

- حول مادور Madaure (مداوروش) ولاية سوق أهراس :

تقع خراب هذا الموقع الأثري الهام على بعد 25 كلم جنوب مدينة سوق أهراس، في مكان يرتفع عن سطح البحر بحوالي ألف متر. تحتضنه الجبال المكونة لروافد نهر مجردة، وليس بعيدا عن بداية السهوب الممتدة نحو الجنوب. أي أن مادور تقع بين أقليمي الزراعة الممتد شمال المدينة والرعي الممتد جنوبها. ولعل هذا ما عبر عنه مواطن هذه المدينة أبوليوس عندما خاطب قومه في الاقليمين قائلا : " أهلي النوميد، أهلي الجيتول ". وهو الذي عرّف موطنه قائلا بأنه يقع " بين بلاد النوميد والجيتول".

يتعمق تاريخ المدينة الى ماقبل العهد الروماني، حيث تذكر بعض المصادر أنها كانت تابعة للملك النوميدي سيفاكس. لكنها لم تحتفظ بشواهد أثرية عمرانية عن تلك الفترة حيث غطى العمران الروماني جميع معالمها السابقة.

في عام 1850م وضع ضابط فرنسي مخططا لخرائب مادور. وتواصل رفع ونسخ النقوش اللاتينية منذ إستولى الفرنسيون على المنطقة عام 1843م الى نهاية القرن التاسع عشر. وفي عام 1900م فتحت حفرية بالموقع من طرف مصلحة الآثار الفرنسية بصفة متزامنة مع حفرية خميسة وعنونة (تيبيليس) تحت إشراف M. Joly . وقد صدرت نتائج التنقيب عام 1922م.

من أهم المعالم الأثرية المعمارية بالمدينة : الساحة العامة Forum والمسرح والقلعة البيزانطية والحمامات الكبرى والصغرى والبازيليكا والكنيسة ...

1- النصوص القديمة :

- Ptolemée. IV , 3,7.
- Apulee. Appologie . 24.

2- تقارير المكتشفين والباحثين :

- Chabassiere R.S.A.C , 1866
- Masquray. B C . AF . I . 1882 - 83.
- Deihl . Nouvelles arch. Des missions. I.V 1893
- S. Gsell. Recherches archéologiques.
- S. Gsell. R.S.A.C. , 1898
- Rolert. R.S.A.C. , 1899.
- S. Gsell. A.A.A.F. 18,432.

3- النقوش اللاتينية :

- S. Gsell. I.L.A. I. 1

من رقم 2031 الى 2829.

- حول قاديوفالا Gadiaufala (قصر الصيحي) ولاية أم البواقي :

يوجد هذا المعلم العمراني على ربوة صيقة غنية بالمياه، وسط سهل فسيح ممتد نحو الجنوب تاركا المرتفعات في الجهة الشمالية. أنه موقع ذو أهمية إستراتيجية كبرى.

به قلعة رومانية جميلة البناء. وليس بعيدا عنها بقايا قلعة بيزانطية أما المدينة فقد نهضت جنوبي الهضبة حيث لا تزال آثار المساكن والمباني الحرفية كالمعاصر والمطاحن بادية للعيان، وهناك بقايا حنية مياه تحتية ذات أروقة سُلّم مدخلها ظاهر. ورد ذكر قاديوفالا في كثير من المصادر الكلاسيكية.

1- النصوص الكلاسيكية

- Itinéraire d'Intonin.
- Table de pentinger.
- Ptolemée .IV . 3,7.
- Le géographe de Ravenne.
- Procope . Guerre des vandales .II.15 .
- Notice d .484. Numid . N° .2 .

2- التقارير والدراسات الحديثة :

- Deroulf . R.S.A.C. , 1867.
- Muller . Numism , OP.ICT . III
- S. Gsell. R.S.A.C. , 1898.
- S. Gsell. M.A.A., I
- S. Gsell. A.A.A .F . 18 / 159 .

3- النقوش :

1- الليبية :

2- اللاتينية:

- Chabot . R.I.L .
- S. Gsell . I.L.A. II .2

من رقم 6173 الى 6222 .

ثالثا عرض تاريخي مجمل لأحد المواقع :(*)

كلاما Calama(قالمة) :

- الموقع وإشكالية التسمية :

تتربع مدينة قالمة الحالية على أنقاض مدينة (كلاما) القديمة بهضبة صغيرة هي امتداد للسفح الشمالي الشرقي من جبل ماونه بجوار نهر السيبوس وفي مكان يصل إرتفاعه الى 270م. من مستوى سطح البحر (1) . يمتد بجوار المدينة سهل خصيب جميل مشكلا ضفاف السيبوس، وهو عصب قالمة الاقتصادي.

عند وصول الفرنسيين يوم 7 سبتمبر 1836م الى هذا الموقع كانت أرضية قالمة مغطاة بالآثار القديمة فشرعوا في بناء قلعة تحصنوا بها على أنقاض القلعة البيزنطية، ولا تزال بعض أسوار القلعة الفرنسية قائمة الى اليوم.

إن غياب اسم المدينة (كلاما) في النصوص والخرائط القديمة بدءا من بلينوس القديم الى بطليموس فتح الباب لإجتهادات المؤرخين، خاصة وأن إسم (كلاما) ليس مشتقا من ألفاظ لاتينية ولا معنى له في هاته اللغة. ثم أن النقوش البونية المعثورعليها في عين المكان إحتوى كثير منها على لفظ (ملكا Malca) في مقاطع نذرية أو جنائزية. كل هذا حمل بعضهم على القول بأن (كلاما Calama) هي قلب من طرف اللاتينيين للفظ (ملكا) البوني أو الفنيقي. وقد نشر الطبيب جوداس Judas (2) المهتم بالدراسات الفنيقية عدة نقوش تحمل لفظ (ملكا) معتبرا أن (كلاما) هو (ملكا) مقلوب عند اللاتينين . وعنده أن لفظ (ملكا) يعني الملكية " Royale " على غرار هيبون ريجيوس (الملكية) باللاتينية ، أي حسبه أن هذه المدينة كانت تلقب بالملكية. وقد ذهب هذا المذهب عدد من الباحثين منهم ربو (3) . بينما شكك في صحة هذه الفرضية غيره أمثال قزيل (4) الذي إعتبر الأدلة غير كافية على ذلك ولم يحاول مناقشة الموضوع لغياب المعطيات التوثيقية الكافية. وهكذا ظلت التسمية (كلاما - ملكا) لغزا محيرا الى الآن. ونقول بأنه لا جدوى من الافراط في عرض الفرضيات والاحتمالات حوله في غياب الأدلة الموضوعية.

(*) الدراسة الأثرية يقوم بإنجازها الزميل محمد خير أورفه لي.

إكتشاف كلاما (قالمة) :

ظلت خرائب كلاما غير معروفة الى أواسط القرن الماض، حيث كان يخلط بعضهم بين موقع سوتول Suthul (المجهولة الموقع حاليا) وبين خرائب قالمة (كلاما). من ذلك أن دورو دي لامال Dureau de la Malle (5) ذكر في تقريره الذي رفعه الى الأكاديمية الفرنسية عام 1843م أن " قالمة هي كلاما هي سوتول " « Guelma sive calama sive: suthul »

قام الضابط الفرنسي دوفيفي Duvivier مباشرة بعد إحتلال قالمة برفع أثري لبقايا كلاما القديمة ورسم خريطة لها قبل أن ينالها العمران الفرنسي الحديث. وقد واصل دورودي لامال العمل في هذا المجال، حيث قام برفع أثري وهندسي (معماري) للمعالم الباقية كالأسوار والبوابات والحمامات والمسرح والقطع الهندسية المتناثرة والنقوش والزخارف والنقائش الكتابية والتماثيل والخزفيات وما الى ذلك.

وفي عام 1844 دوّن قريلوا Grellois وكان طبيبا بالمستشفى العسكري، معلومات ثمينة عن الآثار المتبقية في قالمة بصفة أكثر دقة وشمولية مقتديا في ذلك بجوداس Judas . فكان كتابه الذي قدمه الى أكاديمية ميتز Académie de Metz عام 1851م (6) أكمل الأعمال الأثرية حول قالمة. فهو بمثابة النص الوصفي لأعمال دورودي لامال الفنية المتمثلة في الرسوم والأشكال. ولم تجر حفريات منتظمة بموقع المدينة القديمة (كلاما) التي طغى عليها العمران الحديث بسرعة فطمس جل معالمها.

كلاما قبل الاحتلال الروماني :

يتضح من الشواهد الأثرية العائدة الى الفترة البونية - النوميدية. أن كلاما (ملكا) كانت مركزا حضريا هاما في عمق الاقليم النوميدي، وأنها إحتضنت مجتمعا خليطا مكونا من عناصر فنيقية ونوميدية. وأن هؤلاء القوم الحضر كانوا يتحدثون أكثر من لغة، على رأسها البونية والليبية، وأن

معبوداتهم كان يغلب عليها الطابع السامي (الفنيقي، الكنعاني) بدليل الأسماء. ويظهر أن هذه الثقافة ببعدها المادي والمعنوي قد تأصلت في المدينة على مدى أجيال بحيث تعذر على الاجيال اللاحقة في العهد الروماني التخلي عنه، وهو ما يشهد به تواصل العمل بالأنظمة البونية في مجال الادارة والاقتصادوالمجتمع. لقد وثقت نقائش لاتينية تعود الى القرنين الأول والثاني إستمرار العمل بهيئة الشفاط على رأس المدينة وبأسماء بونية وليبية. وأكد أوغسطين أسقف عنابة (هيبون) فيما بعد (القرن الخامس) في رسائله الجدلية أن القوم كانوا لا يزالون يستعملون اللغة البونية دون اللاتينية وحتى بعض رجال الدين المسيحيين من أتباعه كانوا يمارسون شعائرهم ويلقون خطبهم الواعظية باللغة البونية أو الليبية ، وأنه (أي أوغسطين) كان يصعب عليه إفهام جمهور المسيحيين في إقليم قالمة (كلاما) وما جاوره مايريد إبلاغهم من مواعظ باللغة اللاتينية، فكان يصحب معه إليهم تراجمة يفهمونهم مقاصده.

لقد عُثر على عدد كبير من النقائش البونية في قالمة وضواحيها قام بدراستها كل من جوداس Judas (7) وفيديرب Faidherb (8) وغيرهما(*) (9) . وكذلك الأمر بالنسبة للنقوش الليبية - النوميدية التي تعد منطقة قالمة أهم موطن لها، وهو ما دعا بعض الباحثين إلى الاعتقاد في تعايش لغوي ثلاثي (بوني، ليبي، لاتيني) مارسه أهل منطقة قالمة (كلاما) الى زمن متأخر من العهد الروماني (10) .

من الوثائق المجسدة لتواصل التأثير البوني الى القرن الثاني الميلادي تلك النقيشة اللاتينية التي تحمل أسماء شفاط ثلاثة على رأس الهيئة الحاكمة في كلاما. جاء في تلك النقيشة (11):

" الشفاط أشمون بن متهمبعل وأوربان بن أوشوسوري والأمير بودنت بن أوشوسوري ... "

(*) عثرنا أثناء التحريات الميدانية على عدد من النقائش البونية في جنوب غرب وشمال شرق مدينة قالمة وسوف يتم نشرها بعد دراستها مستقبلا.

" Suffetatus Asmunis Mutthmbalis filii et aurbani Auchusoris filii principatu pudentis Auchusori filii".

فالسلطة ثلاثية هنا على النمط البوني (قاضيان وأمير) وطريقة كتابة الأسماء سامية بإضافة تعريفات تقتضيها اللغة اللاتينية في أواخر الأسماء للاعراب.

كلاما في العهد الروماني :

سقطت كلاما كغيرها من المدن النوميدية عام 46 ق.م بايدي الجيش الروماني التابع لقيصر بعد إنتصاره على الملك النوميدي يوبا الأول وحلفائه من أتباع بومبي خصم قيصر. حيث كانت تلك الأحداث سببا في نهاية (سقوط) مملكة نوميديا التي أمر قيصر بتجزئة أراضيها الى ثلاثة أجزاء : القسم الغربي الممتد الى الغرب من مدينة كيرتا (Cirta = قسنطينة) منحه قيصر الى حليفه بوكوس الثاني ملك المور. والجزء الشمالي الواقع الى الشمال من كيرتا وكان يضم مدن : كيرتا - روسيكاد = (سكيكدة) - شولو (القل) - ميليو= (Meliv) كافأ به قيصر مرتزقة سيتيوس Sittius الذين أنجدوه في حروبه الافريقية ومكّنوه من هزم يوبا الأول. أما الجزء الثالث فكان يضم بقية الأراضي الواقعة الى الشرق من كيرتا بما فيها مدينة كلاما، وقد أنشأ فيه قيصر مقاطعة رومانية جديدة دعاها: أفريكا نوفا Africa Nova أي افريكا الجديدة تمييزا لها عن مقاطعة إفريقيا الرومانية المؤسسة عام 146 ق.م والتي أصبحت تدعى أفريكا فيتوس Africa Vitus ، أي إفريقيا القديمة.

أبقى الرومان على نوع من الاستقلالية في تسيير شؤون المدن النوميدية مثل كلاما على الطريقة المعهودة في العهد البوني - النوميدي. ولم ينشئ قيصر بمدينة كلاما مستوطنة لبعض جنوده المسرحين بعد الحرب كما فعل في مناطق أخرى بتراب المقاطعة الافريقية مع أن كلاما كانت أراضيها صالحة لمثل هذه الأعمال الاستيطانية. لكن يظهر أن ذلك كان صعبا على الرومان بسبب حالة المقاومة التي دأب عليها النوميديون في هاته المنطقة الجبلية الصعبة التي وصفت بألب نوميديا.

في عهد الامبراطور هدريانوس منحت كلاما مرتبة البلدة Municipium ، وهو ما وثقته عدة نقائش لاتينية ، وذلك عندما تكاثر عدد المدنيين الرومان بها وإرتفع مستوى المتأثرين فيها بالحضارة الرومانية. وظلت كلاما بلدة في العهود اللاحقة بما في ذلك عهد الأباطرة السّيفيريين المعروفين بتشجيعهم لمظاهر الرومنة في شمال إفريقيا ، فضلا عن أن كلاما عرفت نهضة عمرانية في ذلك العهد وقامت فيها منشآت بإسم الأسرة السّيفيرية.

في عام 283م . أي في الفترة المعروفة بعهد الفوضى العسكري منحت كلاما حق المستعمرة الرومانية (13) وهي أعلى مراتب المدن المرومنة، بحيث يكون سكانها في منزلة المواطنين الرومان ويظهر أن أهم المنشآت المعمارية بها كأقواس النصر والحمامات الكبرى والمسرح قد توفرت بها قبل ذلك لكونها من بين الهياكل الأساسية للمدينة البلدة المرشحة لمرتبة المستعمرة.

عرفت كلاما كغيرها من المدن النوميدية حركة التنصير منذ القرن الثاني عندما كانت لا تزال في مرحلة السرّية. وقد ورد ذكر كلاما في أدبيات الكنيسة الافريقية منذ عام 305م. بمناسبة إنعقاد إجتماع أساقفة نوميديا بمدينة كيرتا الذي حضره أسقف مدينة كلاما وكان يدعى دوناتوس، وقد جرى حوار بينه وبين رئيس المجلس حول طبيعة الكتب المقدسة. ويظهر أن الجدل المذهبي بدأ منذ ذلك الوقت ينحو نحو الانشقاق بتمحوره حول إتجاهين : الدونانية والكاثوليكية. وكانت كلاما إحدى معاقل النحلة الدوناتية المناهظة للسلطة الرومانية وحلفائها الكاثوليك.

ورد في وثائق الكنيسة الافريقية أيضا أن أسقف كلاما كان مقدم الأساقفة بمدينة هيبون عام 394، وكان دوناتيا.

ولما إشتد النزاع بين الطرفين كانت كلاما إحدى حصون الثورة والتمرد على الكنيسة الرسمية والسلطة الامبراطورية. وقد سيطر على المدينة جماعات التمردين الريفين الذين نعتهم أوغسطين بالداورين، وهم ثوار ريفيون في تقديرنا (14). وقد ضج منهم هذا الاسقف وإستنجه بالسلطة البلدية ضدهم. ويذكر في إحدى رسائله أنهم عاثوا في الكنائس الكاثوليكية التابعة له في كلاما وإقليمها قائلا بأنهم أشاعوا [illegible] أذلوا الاساقفة من أتباعه في كلاما وضواحيها.

وفي عام 411 م . انعقدت محاكمة الدونانيين وأتباعهم " الدوارين " بقرطاجة بأمر من الامبراطور هونوريوس الذي كلف الحاكم (الكومت) مركيليانوس بإدارة المحاكمة. وقد كلف هذا الحاكم هيئة من أساقفة كلاما على رأسهم بوسيديوس Possidius بالمرافعة (المجادلة) ضد خصومهم الدونانيين من أجل إقامة الحجة عليهم دينيا كي يتسنى له محاكمتهم وتجريمهم ثم معاقبتهم. لم يغفر الدوناتيون لبوسيديوس هذه الجريرة فنكلوا بإتباعه بكلاما وضواحيها ، ولما إجتاح الوندال المنطقة إنضموا اليهم وسيطروا على الوضع فاضطر الاسقف بوسيديوس للهرب الى هيبون حيث حضر وفاة أستاذه أوغسطين (430/08/28م) ودّون تاريخ حياة هذا المناضل المسيحي الكبير (15) .

كلاما في العهدين الوندالي والبيزنطي :

ليس لدينا معلومات حول كلاما في العهد الوندالي. ولكننا نلاحظ أن ضررا كبيرا لحق بعمرانها يكون سببه الصراع المذهبي وتخلى سكانها عنها، حيث ورد في بعض الروايات أن الناس فرت من المدن نحو الجبال فسكنت المغارات والكهوف هربا من بطش الوندال (16) . وهي رواية مبالغ فيها كما يظهر، إلا أن الثوار المور قد إستغلوا الفرصة وإستعادوا سيطرتهم على الأقاليم التي إحتلها الرومان منذ قرون، وأجبروا سكان المدن على الخضوع، وهدموا أسوار مدنهم، وهو عمل قام الوندال بمثله كذلك حسب رواية بروكوب (17).

أما العهد البيزنطي فإنه مجسد بمدينة كلاما في القلعة، التي بناها القائد البيزنطي صولومون عام 539 م على أنقاض المدينة وبمواد بنائها حطام المنشآت المعمارية الرومانية السابقة كتيجان الأعمدة وقطع أقواس النصر والقطع الرخامية الجميلة وحنايا المياه. كما إتخذت القلعة من أسوار الحمامات الكبرى مستندا لها. وهذا يدل على أن البيزنطيين وجدوا كلاما خرابا.

لقد عثر الفرنسيون عام 1836 م على أجزاء من القلعة البيزنطية سليمة فأعتموابها. ثم رموهما عام 1843 م وأضافوا إليها وأطلقوا عليها إسم " قلعة قالمة " وظلت حاميتهم متمركزة بها الى إستعادة الاستقلال عام 1962 م.

من بقايا كلاما وشواهدها الأثرية :

سجل ضباط الاحتلال الفرنسي الأوائل بقالمة مجموعة من بقايا كلاما، منها ما يتعلق بالآثار المعمارية ومنها ما يتعلق بالمخلفات الأثرية المتنوعة.

من ذلك أجزاء من سور كلاما القديم العائد الى العهد الروماني، والمسرح الذي أعيد بناؤه على الأسس الأصلية. ويوجد في الركن الشمالي الغربي من المدينة الحديثة (قالمة). وكذا أطلال الحمامات داخل القلعة وبقايا عيون عمومية وآثار معابد وأضرحة وكنائس وخزانات مياه وقنوات نقل (حنايا) المياه وبازيليكا. وأوضح المعالم المعمارية القلعة البيزنطية. بالإضافة الى الفخار والنقود والكتابات والعناصر الزخرفية الحجرية والرخامية.

وقد اكتسحت المدينة الحديثة معظم الشواهد المعمارية باستثناء المسرح والقلعة البيزنطية التي أقام الفرنسيون قلعتهم على كثير من أجزائها وكذا بقايا حمام داخل القلعة. غير أن أعمال الحفر بفرض البناء أو مد الطرق الحديثة والقنوات غالبا ما تكشف عن آثار كلاما وخاصة ما يتعلق منها بالمقابر والشواهد الجنائزية المختلفة التي يعود بعضها إلى العهد الفنيقي - النوميدي.

وقد عثر عن بقايا الأبواب والطرق التي كانت تربط كلاما بالمدن المجاورة. منها طريق روسيكاد (سكيكدة) وطريق هيبون (عنابة) وطريق حمام الصالحين (أكوي تيبيليتاني وطريق تبليس (عنونة)

وغيرها من الطرق التي كانت تربط كلاما بنسيج عمراني كثيف بإقليم المدينة وخارجه.

والخلاصة أن تاريخ كلاما (قالمة) لا تزال شواهده مدفونة تحت بناءات المدينة الحديثة التي أقامها الفرنسيون على أنقاض المباني القديمة وبمواد بناء جاهزة إلتقطوها أو أسقطوها من الأطلال.

هـــوامـــش البحـث :

(1) Reboud, la Maouna et ses contreforts, R.S.A.C. , 1882 - 83.

(2) Judas, études démonstrative de la langue phénicienne et de la langue libyque ; Essai sur la langue phénicienne.

(3) Reboud . OP. Cit.

(4) S. Gsell . A.A.A.F. 9. 146.

(5) Dureau de la Malle , Province de constantine de Constantine.

(6) Grellois , mémoire de l'académie de Metz.

(Etudes archéologiques sur GUELMA et HAMAM MESKHOUTIN)

(8) Faidherbe . collection complete des inscriptions punico- libyques.

(9) Journal asiatique . 1846.

(10) Reboud , OP , Cit.

(11) C.I.L , VIII , 5306.

(12) C.I.L. , VIII , 53228 ; 5350 ; 5351 , 5373 , 5378 ;

(13) C.I.L , VIII , 5332.

(14) محمد البشير شنيتي. التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني . مؤسسة الكتاب الجزائر. 1984 . القسم الثاني هنا وهناك.

(15) Possidius , Vie de Augustin.

(16) Possidius. OP. Cit

(17) Procope. Guerres des vandalles II passin .